
أعمال
القلوب
٨
الشكر
محمد صالح المنجد
مجموعة زاد
Zad Group
للنشر

الشكر

ح مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنجد ، محمد صالح

الشكر ، محمد صالح المنجد – الخبر ١٤٣٠هـ

٦٤ ص ، ١٢×١٧ سم

ردمك : ٦-٠٢-٨٠٤٧-٦٠٣-٩٧٨

١- الأخلاق الإسلامية ٢- الشكر أ.العنوان

ديوي : ٢١٢,٢ ١٤٣٠/٢٠٧٠

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



محمد صالح المنجد

الشكر



١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فلمّا كان الإيمان نصفين: نصفٌ شكر ونصفٌ صبر، كان حقيقاً على من نصح نفسه وأحب نجاتها وآثر سعادتها أن لا يهمل هذين الأصلين العظيمين، ولا يعدل عن هذين الطريقين القاصدين، وأن يجعل سيره إلى الله بين هذين الطريقين ليجعله الله يوم لقائه في خير الفريقين.

والشكر هو خير عيش السعداء، الذين لم يترقوا إلى أعلى المنازل إلا بشكرهم، فساروا بين جناحي الصبر والشكر إلى جنات النعيم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو فضل عظيم.

فحريٌّ بنا أن نتعرف على الشكر، ما معناه؟ وما حكمه؟ وما ثمراته؟ وما الوسائل التي تعين عليه؟

كل ذلك ستجده مسطورا في ثنايا هذه الرسالة **الثامنة**

ضمن سلسلة أعمال القلوب التي يسر الله لي إلقاءها في دورة علمية، وشاركني في إعدادها الفريق العلمي في مجموعة زاد، وها هو اليوم يسعى لإخراجها على هيئة مادة منشورة.

ونسأل الله أن يجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه، ويجعلنا ممن يشكره ولا يكفره، وهو المستعان وعليه التكلان.



تعريف الشكر

الشكر في اللغة:

الشكر: هو الاعتراف بالإحسان ونشره.

يقال: شكر، يشكر، شُكراً، وشكوراً، وشكراناً.

ويتعدى بنفسه وباللام؛ فتقول: شكرته، وشكرت له، وقيل: تعديته باللام أفصح.

وتشكر بنفس المعنى.

ورجل شكورٌ: كثير الشكر.

والشكران: خلاف الكفران.

والشكر أيضاً: هو ظهور أثر الغذاء في جسم الحيوان، والشكور من الدواب: الذي يسمن على العلف القليل.

واشتكرتْ السماءُ: أي اشتد وقع مطرها، وأشكر الضرع

واشتكر: امتلأ لبناً[١].

فمعاني الشكر تدور حول الزيادة والنماء.

والشكر في الاصطلاح:

الشكر هو: الاجتهاد في بذل الطاعة، مع الاجتناب للمعصية، في السر والعلانية.

وقال بعضهم: الشكر هو الاعتراف بالتقصير في شكر المنعم[٢].

وقال الفراء: (الشكر: معرفة الإحسان، والتحدث به)[٣].

فالشكر إذن: ظهور أثر النعم الإلهية على العبد في قلبه إيماناً، وفي لسانه حمداً وثناءً، وفي جوارحه عبادة وطاعة.

(١) لسان العرب (٤/ ٤٢٤).
(٢) تفسير القرطبي (١/ ٤٣٨).
(٣) تفسير القرطبي (٢/ ١٦٦).

الفرق بين الحمد والشكر

الحمد: هو الثناء بالقول على المحمود، بصفاته اللازمة والمتعدية.

أما الشـكـر: فإنه يكون باللسان والجنان والأركان، ولكنه لا يكون إلا على الصفات المتعدية.

فالحمد لا يكون إلا بالقول، أما الشكر فيكون بالقول والفعل والقلب.

والحمد يكون بالصفات اللازمة كالجمال والمتعدية كالإحسان، وأما الشكر فلا يكون إلا على الصفات المتعدية كالإحسان.

وقد يقع كلٌّ منهما موقع الآخر[١].

وقيل: يقع الحمد موقع الشكر، ولا يقع الشكر موقع الحمد[٢].

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٤٣).

(٢) أدب الكاتب (٣١).

متعلقات الشكر

لما عرفنا أن الشكر عكوف القلب على محبة المنعم، والجوارح على طاعته، وجريان اللسان بذكره والثناء عليه؛ عرفنا أن الشكر يتعلق بثلاثة أمور: القلب، واللسان، والجوارح.

الشكر بالقلب:

الشكر بالقلب هو علمه بأن الله هو المنعم بكل النعم التي يتقلب فيها.

وبعض الناس ينسب النعم لمن أعطاه إياها من غني أو وجيه، وينسى الله الذي أعطى الغني لكي يعطيه، والغني مجرد وسيلة والمعطي هو الله، والناس -وللأسف- يشكرون المَعْبَرَ ولا يشكرون المصدر!.

ولذلك من المهم في تربية الأطفال أن يُعرَّفوا من أين جاءت النعم، وأن الله تعالى هو مصدر الرزق، فينشأ الطفل شاكراً ربه، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ

مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ [فاطر:٣].

وبعد هذه المعرفة على الشاكر أن يحب المنعم والمتفضل عليه بالنعم الظاهرة والباطنة.

الشكر باللسان:

لسان المرء يعرب عما في قلبه، فإذا امتلأ القلب بشكر الله لهج اللسان بحمده والثناء عليه، وتأمل ما في أذكار النبي ﷺ من الحمد والشكر لرب العالمين.

١- كان النبي ﷺ إذا استيقظ من نومه يقول: «**الْحَمْدُ لله الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**»[1]، وأمرنا بأن نقول هذا الدعاء: «**الْحَمْدُ لله الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَأَذِنَ لِي بِذِكرهِ**»[2].

٢- وعن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه

(١) رواه البخاري (٦٣١٢).

(٢) رواه الترمذي (٣٤٠١)، وحسنه الألباني.

قال: «الْحَمْدُ لله الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لاَ كَافِيَ لَهُ وَلاَ مُؤْوِيَ»[١].

٣- وعن أبي أمامة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان إذا رفعت مائدته قال: «الْحَمْدُ لله الَّذِي كَفَانَا وَأَرْوَانَا غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلاَ مَكْفُورٍ، الْحَمْدُ لله رَبِّنَا غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلاَ مُوَدَّعٍ وَلاَ مُسْتَغْنىً رَبَّنَا»[٢].

٤- وفي دعاء سيد الاستغفار: «أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي»[٣].

٥- ومن أدعية التهجد: «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ»[٤]، «الله أَكْبَرُ كَبِيراً، وَالْحَمْدُ لله كَثِيراً، وَسُبْحَانَ الله بُكرةً وَأَصِيلاً»[٥].

٦- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش، فالتمسته، فوقعت يدي على بطن قدميه وهو

(١) رواه مسلم (٢٧١٥).
(٢) رواه البخاري (٥٤٥٩).
(٣) رواه البخاري (٦٣٠٦).
(٤) رواه البخاري (١١٢٠).
(٥) رواه أبو داود (٧٦٤)، وصححه الحاكم.

في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[1].

٧- وفي أدبار الصلوات: فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ، ... لاَ تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكرِكَ، وَشُكرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»[2].

الشكر بالجوارح:

والشكر بالجوارح يكون بالعمل الصالح، ومن وصايا القرآن لمن بلغ الأربعين: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ [الأحقاف:١٥]، فسأل الله العمل الصالح عقب سؤاله التوفيق إلى شكر نعمته.

---

(١) رواه مسلم (٤٨٦).
(٢) رواه أبو داود (١٥٢٢)، وصححه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

ومن وسائل الشكر بالجوارح التصدق عن كل مفصل، فعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلاَمَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**»، -وعدد المفاصل ثلاثمائة وستون مفصلا، فكيف يؤدى شكر هذه المفاصل؟-، قال: «**فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ**»[(١)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**كُلُّ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ صَدَقَةٌ، وَعَوْنُ الرَّجُلِ أَخَاهُ صَدَقَةٌ، وَالشَّرْبَةُ مِنَ الْمَاءِ يَسْقِيهَا صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**»[(٢)].

والصدقات كثيرة جدا جمعها الحافظ ابن رجب في شرحه على الأربعين النووية المسمى "جامع العلوم والحكم"، ومنها: الصدقات البدنية، كما فعل ذو القرنين عندما علم شعباً جاهلاً صناعة السدود حتى تقيهم شر أعدائهم.

---

(١) رواه مسلم (٧٢٠).

(٢) الأدب المفرد (٤٢٢)، وصححه الألباني.

وكذلك من شكر الجوارح: سجود الشكر.

فعن أبي بكرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا جاءه أمر سرور أو بُشِّرَ به خر ساجداً شاكراً لله[1].

وأبو بكر رضي الله عنه لما جاءه خبر قتل مسيلمة المرتد الذي ألَّب عليه العرب وكان من أشد الناس على المسلمين؛ خرّ لله ساجداً[2].

وعن أبي موسى الهمذاني قال: كنت مع علي رضي الله عنه يوم النهروان فقال: التمسوا ذا الثُدَية. فالتمسوه، فجعلوا لا يجدونه، فجعل يعرق جبين عليٍّ ويقول: والله ما كَذَبت ولا كُذِبت. فالتمسوه قال: فوجدناه في ساقية أو جدول تحت قتلى، فأتي به علي، فخر ساجداً[3]؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد أخبر علياً بأن ذا الثدية يكون مع الخوارج.

---

(١) رواه أبو داود (٢٧٧٤)، وصححه الألباني.
(٢) عون المعبود (٧/ ٣٢٨).
(٣) مصنف عبد الرزاق (٥٩٦٢).

وكعب بن مالك رضي الله عنه لما تاب الله عليه خر ساجداً شكراً لله[١].

وأحد السلف أسلمت أمه بعد صلاة العصر يوم الجمعة خرَّ ساجداً حتى غربت الشمس[٢].

وسجود الشكر لا يشرع لكل نعمةٍ؛ وإنما يشرع للنعم المتجددة، قال أبو نصر الأرغباني: (سجود الشكر سنة عند مفاجأة نعمة، واندفاع نقمة وبلية، ولا تستحب لدوام النعم)[٣].

عن زيد بن جدعان قال: (كنا عند الحسن البصري وهو متوارٍ في منْزل أبي خليفة العبدي، فجاء رجل فقال: يا أبا سعيد، توفي الحجاج. فخر ساجداً)[٤].

(١) رواه مسلم (٢٧٦٩).
(٢) حلية الأولياء (٥/ ١٦٠).
(٣) الباعث على إنكار البدع (٦١).
(٤) فضيلة الشكر للخرائطي (٦٦).

فمن النعم المتجددة مثلاً: ولادة مولود، أو الانتصار في معركة؛ ونحو ذلك.

الصلاة جامعة لأنواع الشكر الثلاثة:

والصلاة تجتمع فيها هذه المتعلقات الثلاثة:

فهي شكر بالقلب لما تتضمنه من الإخلاص والخشوع.

وشكر باللسان لما تتضمنه من قراءة للقرآن وذكر للرحمن.

وشكر بالجوارح لما تتضمنه من سجود وركوع وتسليم.

فالمحافظة على الصلاة سبيلٌ لأداء الشكر لله سبحانه وتعالى.

معاني الشكر الثلاثة

ينطوي معنى الشكر على معرفة ثلاثة أمور، هي معاني الشكر الثلاثة:

١- **معرفة النعمة:** أي استحضارها في الذهن وتمييزها، والمسلم يتوصل بمعرفة النعمة إلى معرفة المنعم بها، فإذا عرف المنعمَ أحبّه، فإذا أحبه جَدَّ في طلبه وشكره، ومن هنا تحصل العبادة؛ لأنها طريق شكر المنعم وهو الله تبارك وتعالى.

٢- **قبول النعمة وتلقيها:** بأن يرضى العبد بما قسم له ربه من النِّعَم، ولا يظن أن النعمة التي أنعم الله بها عليه قليلة الشأن.

٣- **الثناء على المنعم:** وهو نوعان:

عام: وهو أن تصفه بالجود والكرم والبر والإحسان وسعة العطاء ونحو ذلك.

وخاص: وهو أن تتحدث بنعمه عليك وتخبر بوصولها إليك، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى:١١].

والتحديث المأمور به هنا فيه قولان:

القول الأول: أن تستعملها في طاعته.

والقول الثاني: أن تذكر النعم التي أنعم الله بها عليك وتعددها، فتقول: (أنعم الله علي بكذا وكذا...)، ولذلك قال بعض المفسرين في تفسير الآية: أي اشكر ما ذكره من النعم عليك في هذه السورة من جبرك يتيماً، وهدايتك بعد الضلال، وإغنائك بعد العيلة.

قال أبو رجاء العطاردي: خرج علينا عمران بن حصين وعليه مطرف من خز لم نره عليه قبل ذلك ولا بعده -يعني أنه لباس نفيس- فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَنْعَمَ الله عز وجل عَلَيْهِ نِعْمَةً، فَإِنَّ الله عز وجل يُحِبُّ أَنْ يُرَى أَثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ**»[١].

(١) رواه أحمد (١٩٩٤٨)، وصححه الألباني.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أنه قال: قال النبي ﷺ على المنبر: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ الله، التَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ الله شُكر، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ، وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ»[(١)].

وقال ﷺ: «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا فِي غَيْرِ مَخِيلَةٍ وَلاَ سَرَفٍ، إِنَّ الله يُحِبُّ أَنْ تُرَى نِعْمَتُهُ عَلَى عَبْدِهِ»[(٢)].

وقال الحسن: (أكثروا ذكر هذه النعمة؛ فإن ذكرها شكر)[(٣)].

يقول الحبيشي:

نُحَدِّثُ بِالنَّعْمَاءِ شُكراً لِرَبِّنَا
عَلَى مَا حَبَا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَمَا وَهَبْ

نَقُولُ بِهَذَا لاَ لِفَخْرٍ وَنَخْوَةٍ
وَلَكِنْ لِشُكرِ الله فَالشُّكر قَدْ وَجَبْ[(٤)]

---

(١) رواه أحمد (١٨٤٧٢)، وحسنه الألباني.
(٢) رواه أحمد (٦٧٠٨)، وحسنه شعيب الأرنؤوط.
(٣) شعب الإيمان (٤٤٢١).
(٤) نشر طي التعريف (١٥٤).

ضابط التحديث بنعمة الله:

ينقسم الخلق في تحديثهم بالنعمة إلى ثلاثة أصناف:

١- شاكر للنعمة مثنٍ بها.

٢- وجاحدٌ كاتم لها.

٣- ومظهرٌ أنه من أهلها وهو ليس من أهلها.

فيظن بعض الجهال من الناس أن من التحديث بنعمة الله أن يشتري فاخر الثياب، ويركب أفخم السيارات، ويأكل أفضل الطعام وأثمنه، وذلك كله من الخطأ بمكان؛ فإن التحديث بنعمة الله إنما يكون بما يرزقك الله به، فإن آتاك خيراً كثيراً لبست واشتريت ما يدل على سعة الله عليك، وإن رزقك الله ما يكفي مؤونتك وعيالك ولم يوسع عليك كثيراً تشتري بما يناسب ما يرزقك الله، ولا تتوسع وتحمل نفسك ما لا تطيق.

قال رسول الله ﷺ: «الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ»[(١)].

(١) رواه البخاري (٤٩٢١) ومسلم (٢١٢٩).

وعن أبي الأحوص عن أبيه قال: أتيت رسول الله ﷺ وأنا قَشِفُ الهيئة فقال: «**هَلْ لَكَ مَالٌ؟**» قُلْتُ: نعم. قال: «**مِنْ أَيِّ المَالِ؟**» قُلْتُ: من كل المال؛ من الإبل، والرقيق، والخيل، والغنم. فقال: «**إِذَا آتَاكَ الله مَالاً فَلْيُرَ عَلَيْكَ**»[١].

فبين أن التحديث بنعمة الله إنما يكون إذا آتاك الله مالاً.

متى تكتم النعمة؟

التحدث بالنعمة المأمور به ينبغي أن يكون ذلك عند الصالحين، ولكن إذا كان عند حاسديها فإن كَتْمَ ذكرِها ليس من كُفرها، فهو لم يكتم ذكر النعمة شحاً بذلك وتقصيراً في حق الله، لكن لدرء مفسدة وهي حسد صاحب العين وكيده وضرره، ودفع الضرر من المقاصد الشرعية.

(١) رواه أحمد (١٥٩٢٩)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

كيفية الشكر

إن شكر العبد لنعم الله لا يتم إلا بتحقيق خمسة أمور:

١- الخضوع له، خضوع الشاكر للمشكور. يقول البيضاوي: (العمدة في شكر النعمة: استعمالها فيما خلقت لأجله، والإذعان لمانحها)[١].

٢- حبه سبحانه،أي حب الشاكر للمشكور.

٣- الاعتراف بنعمته والإقرار بها.

٤- الثناء عليه بها.

٥- أن لا يستعملها فيما يكره، بل يستعملها فيما يرضيه. قال محمد بن كعب: (الشكر: تقوى الله والعمل بطاعته)[٢].

قال ابن القيم -رحمه الله-: (أصل الشكر هو الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له والذل والمحبة.

(١) تفسير البيضاوي (١٦٤).
(٢) تفسير الطبري (١٠/ ٣٥٤).

فمن لم يعرف النعمة بل كان جاهلاً بها لم يشكرها.

ومن عرفها ولم يُعَرِّف بها لم يشكرها أيضاً.

ومن عرف النعمة والمنعم لكن جحدها كما يجحد المنكر لنعمة المنعم عليه بها فقد كفرها.

ومن عرف النعمة والمنعم بها وأقر بها ولم يجحدها ولكن لم يخضع له ولم يحبه ويرض به وعنه لم يشكره أيضاً.

ومن عرفها وعرف المنعم بها وأقر بها وخضع للمنعم بها وأحبه ورضي به وعنه واستعملها في محابه وطاعته فهذا هو الشاكر لها)[1].

درجات الشكر لله:

هناك مسألة مهمة: وهي أن النعم إذا كانت تتفاضل فيما بينها، فهل يتفاضل الشكر؟

(١) طريق الهجرتين (١/ ١٦٨).

نعم، إن الشكر لابد أن يكون أيضاً متفاضلاً من قِبَل العبد، فكلما قويت النعمة وجب أن يقوى شكرها لله سبحانه وتعالى.

مقابلة النعمة:

الشكر لله ليس من باب مقابلة النعمة؛ فإن مقابلة النعمة غير ممكنة. والله سبحانه وتعالى لا يناله شيء من عباده، كما قال تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا ﴾ [الحج:٣٧].

وقد روي أن داود عليه السلام قال: يا رب، كيف أشكرك وشكري لك نعمة منك علي؟، فقال الله تعالى: الآن شكرتني يا داود. أي: حين اعترفت بالتقصير عن أداء شكر المنعم[(١)].

وقال الإمام الشافعي: (الحمد لله الذي لا يؤدى شكر نعمة من نعمه إلا بنعمة حادثة توجب على مؤديها شكره بها)[(٢)].

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٧١١).
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٧١١).

والحمد لله الذي لم يُكلِّفْنا بأداء مقابل النعمة، بل عفا عنا في ذلك ورحم ضعفنا، فأنعم علينا النِّعَمَ السابغة الكثيرة، وقَبِلَ منا الشكر القليل، قال سليمان التيمي: (إن الله أنعم على العباد على قَدْرِه، وكلفهم الشكر على قدرهم)[١].

(١) الشكر لابن أبي الدنيا (٨).

حكم الشكر

الشكر من أوجب الواجبات على المسلم، عليه أن يعرفه، ويتأمله، ويحقق معانيه في نفسه.

وقد دلت أنواع الأدلة على وجوب الشكر، ومن تلك الأدلة:

الأمر المباشر بالشكر:

قال تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ [البقرة:١٥٢].

ففي الآية أمر صريح مباشر بالشكر، والأمر يقتضي الوجوب.

وقال سبحانه: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [لقمان:١٤].

وسئل الرسول ﷺ: أي المال نتخذ؟ فقال: «**لِيَتَّخِذْ**

أَحَدُكُمْ قَلْباً شَاكِراً، وَلِسَاناً ذَاكِراً، وَزَوْجَةً تُعِينُهُ عَلَى أَمْرِ الآخِرَةِ»[(١)].

ذم ترك الشكر:

قال تعالى: ﴿ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يس:٣٥].

يقول البيضاوي في تفسير هذه الآية: (أمر بالشكر من حيث إنه إنكار لتركه)[(٢)].

أمر الأنبياء بالشكر:

ليس الشكرُ من العبادات التي أمرت بها هذه الأمة فقط، بل أُمِرَ بها من قبلنا من الأمم، وذكر الله سبحانه وتعالى أنه أمر الأنبياء بذلك، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٤].

---

(١) رواه ابن ماجة (١٨٥٦)، وصححه الألباني.

(٢) تفسير البيضاوي (٤٣٣).

تعليق العبادة بالشكر:

فبين أن العبادة مترتبة على الشكر، فمن كان شاكراً فهو عابد لله، ومن لم يكن كذلك فليس بعابد، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة:١٧٢].

بيان أن الغاية من الخلق والأمر هو الشكر:

أخبر سبحانه أن الشكر هو الغاية من الخلق والأمر.

أما كونه الغاية من الخلق ففي قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨].

فبين أنه أخرجهم من بطون أمهاتهم وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة لعلهم يشكرون.

وأما كونه الغاية من الأمر ففي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

فبين أنه أمرهم بالتقوى ليشكروا.

فالشكر غاية الخلق وغاية الأمر، خَلَقَ لِيُشْكرَ وأَمَرَ لِيُشْكرَ.

ورود الكفر في معرض الذم:

لقد ذم الله تعالى الكفر في مواطن متعددةٍ من القرآن، قال تعالى: ﴿ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

وهذا الذم يُستنتج منه أنه لابُدَّ من القيام بضده، والذي هو الشكر، فتبين بهذا وجوب الشكر.

تقسيم الناس إلى شاكر وكافر:

لقد قسم الله سبحانه وتعالى الناس إلى قسمين: قسمٌ شاكر، وقسمٌ كافر، ولا ثالث لهما، قال تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان:٣].

وفي موت نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام أخبر الله أن الناس ينقسمون فيه إلى قسمين: كافر منقلب على عقبيه، ومؤمن

شاكر راضٍ بما كتبه الله، وذم الكافرين، ومدح الشاكرين، قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

فتبين من هذا التقسيم وجوب الشكر؛ لأن الكفر محرمٌ منهي عنه وهو من أبغض الأشياء إلى الله، ولا يرضاه للناس، قال تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر:٧].

الأمور التي تؤدي إلى الشكر

لقد دلنا القرآن الكريم والسنة النبوية إلى بعض الطرق التي إذا سرنا فيها وصلنا إلى شكر الله سبحانه وتعالى على نعمه وآلائه، ومن تلك الأمور:

النظر إلى من هو دونك:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ**»[١].

وعن الحسن قال: (لما عرض على آدم ذريته رأى فضل بعضهم على بعض فقال: رب لو سويت بينهم. قال: يا آدم، **إني أحب أن أشكر**، يرى ذو الفضل فضله فيحمدني ويشكرني)[٢].

(١) رواه الترمذي (٢٥١٣) وصححه.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣٥٢٢٧).

وقال ابن القيم: (إنه سبحانه يحب أن يشكر، ويجب أن يُشكر عقلاً وشرعاً وفطرةً، فوجوب شكره أظهر من وجوب كل واجب، وكيف لا يجب على العباد حمده وتوحيده ومحبته وذكر آلائه وإحسانه وتعظيمه وتكبيره والخضوع له والتحدث بنعمته والإقرار بها بجميع طرق الوجوب؟.

فالشكر أحب شيء إليه وأعظم ثواباً، وله خلق الخلق وأنزل الكتب وشرع الشرائع، وذلك يستلزم خلْق الأسباب التي يكون الشكر بها أكمل، ومن جملتها: أنْ فاوت بين عباده في صفاتهم الظاهرة والباطنة: في خلْقِهم وأخلاقهم وأديانهم وأرزاقهم ومعايشهم وآجالهم، فإذا رأى المعافى المبتلي، والغنيُ الفقيرَ، والمؤمنُ الكافرَ؛ عظُم شكره لله، وعرف قدر نعمته عليه، وما خصَّه به وفضَّله به على غيره، فازداد شكراً وخضوعاً واعترافاً بالنعمة)[١].

ومما يحفظ العبد من ترك الشكر عندما ينظر إلى من هو

---

(١) شفاء العليل (٢٢١).

فوقه أن يعلم ويؤمن أن هذه قسمة الله، لأن بعض الناس إذا رأى من هو أحسن منه لم يشكر ربه، فليعلم أن الله قال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [الأنعام:١٦٥].

تذكر نعم الله تعالى:

إن نعم الله على العبد لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى، قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [النحل:١٨].

والعبد إذا تذكر تلك النعم بعثته وحثته على شكر الله سبحانه وتعالى، يقول الشوكاني: (ذكر النعمة سبب باعث على شكرها)[1].

كما أن الجهل بها سببٌ لعدم الشكر، قال الغزالي: (إنما انْسَدَّ طريق الشكر على الخلق لجهلهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة، والخاصة والعامة)[2].

---

(١) فتح القدير (٢/ ٣١٧).
(٢) إحياء علوم الدين (٤/ ١٢٦).

فأول نعمة أنعمها الله على خلقه نعمة الخلق والإيجاد، فلم يجعلنا عدماً.

ثم أنعم علينا بنعمة الآدمية والإنسانية، فلم يجعلنا جماداً أو حيوانات.

ثم أنعم علينا بنعمة الإسلام والإيمان، فلم يجعلنا يهوداً أو نصارى أو بوذيين.

ثم أنعم علينا بنعمة الهداية، فلم يجعلنا من فساق وضلال المسلمين.

ثم أنعم علينا بنعمة السنة والجماعة، فلم يجعلنا من الفرق المبتدعة.

فإذا علمت -أخي المسلم- أن هذا كله من نعم الله عليك كان حرياً بك أن تكون له شاكراً ذاكراً مخبتاً منيباً مطيعاً له بأنواع الطاعات.

وإن تذكير عوام الناس بِنِعَمِ الله عليهم من الأمور المهمة في الدعوة، فانظر إلى هذه الشمس، وكيف خلقها في هذا

المكان، وجعلها تطلع في أزمنة معينة، بحيث لو بعُدت لتجمد الخلق، ولو اقتربت لاحترق الخلق.

وانظر إلى القمر كيف لو أنه قد قرب لزاد المد وغرقت الدنيا، ولو بعُدَ ليبست.

وتأمل لو لم يكن هناك غلافاً جوياً في الهواء، كيف كنا سنبعد الأشعة الضارة عنّا.

ومن نعم الله عليك أيها الآدمي أن الله عز وجل خص الآدمي بخلقه بيده من بين سائر المخلوقات، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص:٧٥].

وتأمل في الآيات الكونية التي أنعم الله بها عليك، قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗ ﴾ [لقمان:٢٠].

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

وقال تعالى في سورة النحل التي تسمى سورة النِّعَم؛ لكثرة ما فيها من ذكر النِّعَم: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَـٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٤-١٨].

وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَـٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَـٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١].

ومن نِعَم الله علينا إكمال الدين، قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣].

ومن ضلال البعض نسبة نعم الله لنفسه وذكائه وقدرته، كفعل قارون الذي قال: ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [القصص: ٧٨].

أو نسبة نعم الله إلى الآلات كما يفعله بعض الجهال المعاصرين.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣]، وقال سبحانه: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ [الواقعة:٦٨-٧٠].

ويستشكل البعض ما يُؤثَرُ عن بعض السلف من أنهم وَدُّوا لو كانوا أمواتاً ولم يخلقهم الله، أو أنهم كانوا أشجاراً ونحو ذلك؛ فيظن أن هذا من باب عدم استشعار نِعْمَةِ الإيجاد والإحياء.

والحق أن هؤلاء السلف هم قمة الشاكرين، ولكنهم قد تعتريهم بعض حالات الخوف فيتمنون لو أنهم لم يأتوا إلى هذه الحياة لئلا يحاسبوا، وليس من عادتهم مطلقاً تمني عدم الحياة.

علم العبد أنه مسؤول عن النعم:

أن يعلم العبد أنه مسؤول عن النعم، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر:٨] فإذا عرف أنه مسؤول عن النعم يوم القيامة، ومحاسب عليها حتى الماء البارد، قام بالشكر مخافة أن يحاسب!.

ويشتط الناس في فهم هذه المسألة، فيحرمون على أنفسهم النعم لئلا يسألوا عنها يقوم القيامة، والله سبحانه قد رضي لنا أن نستمتع بها، وأمرنا بشكرها: ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة: ٦٠]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة:١٧٢].

بل إن شكر هذه النعم لا يكون إلا بعد الاستمتاع بها.

وقد يُحرم بعضهم على نفسه الاستمتاع بشيء من النعم، ويستمتع بما قد يكون أكثر نعمة.

جاء رجل إلى الحسن البصري فقال: إن لي جاراً لا يأكل الفالوذج. فقال: ولِمَ؟ قال: يقول: لا يؤدي شكره. فقال الحسن: أفيشرب الماء البارد؟ فقال: نعم. فقال: إن جارك جاهل، فإن نعمة الله عليه في الماء البارد أكثر[١].

ثم إننا نقول لهؤلاء القوم: هناك نِعَمٌ لا تستطيعون عدم الانتفاع بها، كنعمة التنفس، ودقات القلب، وجريان الدم، فهل تستطيعون شكرها؟

فإن قالوا: لا نستطيع شكرها.

نقول لهم: نعم، إنه لا يمكن للعبد أن يشكر نعمةً من نعم الله عليه، ولكن يتمتع بالنعمة، ويعترف بنعمة الله عليه، ثم يعترف بالتقصير، كما كان صلوات الله وسلامه عليه يقول: «**أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي**»[٢].

(١) تفسير القرطبي (٦/ ٢٤٣).
(٢) رواه البخاري (٥٩٤٧).

والخلاصة: أن من حرم الطيبات على نفسه وامتنع من أكلها بدون سبب شرعي فهو مذموم مبتدع، ومن أكلها بدون الشكر الواجب فيها فهو مذموم، وأهل الحق يتمتعون بالطيبات بدون إسراف ويحاولون شكرها[١].

دعاء الله أن يعيننا على الشكر:

ومن الوسائل: أن ندعو الله أن يعيننا على الشكر: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكرِكَ، وَشُكرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»[٢].

معرفة أن الله يحب الشكر:

قال قتادة: (إن ربكم منعم يحب الشكر)[٣].

(١) مجموع الفتاوى (٣٢/ ٢١٢).
(٢) رواه أبو داود (١٥٢٢)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
(٣) تفسير الطبري (٦/ ٢١٨).

ثمرات الشكر

للشكر ثمرات وفوائد متعددة، وهذه الثمرات لا يعود شيءٌ منها لله، بل هي للعباد خاصة، فإذا شكر العبد فإنما شكره لنفسه، وإذا كفر فإنما كفره على نفسه، قال سليمان عليه السلام كما أخبر عنه سبحانه: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ﴾ [النمل: ٤٠].

ومن ثمرات وفوائد الشكر:

النجاة من عذاب الله:

فقد بَيّنَ الله في كتابه أنه لا غرض له من عذاب الخلق إذا شكروا وآمنوا به فقال: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا﴾ [النساء: ١٤٧].

قال ابن جرير: (إن الله جل ثناؤه لا يعذب شاكراً ولا مؤمناً)[١].

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٣٣٨).

قال الحسن البصري -رحمه الله-: (إن الله ليُمَتِّعُ بالنعمة ما شاء، فإذا لم يُشْكر قَلَبَها عليهم عذاباً)[(١)].

رضى الله سبحانه:

عن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**»[(٢)].

الاختصاص بالمنة بالهداية:

لقد أخبر سبحانه وتعالى أن أهل الشكر هم المخصوصون بمنة الهداية من بين عباده، فقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأنعام:٥٣].

قال ابن جرير: (يقول تعالى ذكره: أنا أعلم بمن كان من

(١) الشكر لابن أبي الدنيا (١٧).
(٢) رواه مسلم (٢٧٣٤).

خلقي شاكراً نعمتي ممن هو لها كافر، فمَنِّي على مَن مَنَنْت عليهم بالهداية جزاءُ شكره إياي على نعمتي، وتخذيلي من خذلت منهم عن سبيل الرشاد عقوبةُ كفرانه إياي)[١].

المحافظة على النعمة:

الشكر هو حارس النعمة من كل ما يكون سبباً لزوالها، ولذلك كان بعض العلماء يسمي الشكر بـ(قيد النعم)؛ لأنه يقيد النعمة فلا تنفلت ولا تهرب.

قال عمر بن عبد العزيز: (قيدوا نعم الله بشكر الله)[٢].

الزيادة:

وعد عَزَّ وَجَلَّ في كتابه العزيز الشاكرين بالزيادة، فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم:٧] فالنعم تزيد بالشكر، وتحفظ من الزوال به.

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٢٠٤).
(٢) شعب الإيمان (٤٥٤٦).

قال الحسن: (بلغني أن الله ﷻ إذا أنعم على قوم سألهم الشكر، فإذا شكروه كان **قادراً أن يزيدهم**، وإذا كفروه كان قادراً أن يقلب نعمتهم عذاباً)(١).

ويقول الربيع بن أنس: (إن الله ذاكرٌ مَنْ ذكره، **وزائد من شكره**، ومعذبٌ من كفره)(٢).

ولهذا كانوا يُسمون الشكر باسمين: (الحافظ) لأنه يحفظ النعم الموجودة، و(الجالب) لأنه يجلب النعم المفقودة(٣).

وَلاَ تَنْسَ شُكر الله فِي كُلِّ نِعْمَةٍ
يَمُنُّ بِهَا فَالشُّكر يَسْتَجْلِبُ النِّعَمَا

عدم تعليق ثوابها بالمشيئة:

فقد علق الله سبحانه الكثير من الجزاء على المشيئة، كقوله في إجابة الدعاء: ﴿ **بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ** ﴾ [الأنعام:٤١].

(١) شعب الإيمان (٤٥٣٦).
(٢) تفسير الطبري (٢/ ٣٩).
(٣) عدة الصابرين (٩٨).

وقوله في المغفرة: ﴿ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [آل عمران: ١٢٩].

وقوله في الرزق: ﴿ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة:٢١٢].

وقوله في التوبة: ﴿ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ [التوبة: ١٥].

وأما الشكر فإنه أطلقه فقال: ﴿ وَسَنَجۡزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وقال في الآية الأخرى: ﴿ وَسَيَجۡزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٤] فلم يقل: (سيجزي الشاكرين إن شاء)، أو: (سيجزي إن شاء الشاكرين).

تحلي الشاكرين بأوصاف الله:

فالله سبحانه سمى نفسه شاكراً وشكوراً، وسمى الشاكرين بهذا الاسم فأعطاهم من وصفه وسماهم باسمه، وحسبك بهذا محبة للشاكرين وفضلاً[1].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٤٢-٢٤٤).

إجابة الدعاء:

قيل لإبراهيم بن أدهم: ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ فقال: (لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه، وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به، **وأكلتم نعم الله فلم تؤدوا شكرها**، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس)[١].

(١) تفسير القرطبي (٢/ ٣٠٣).

شكر الناس

لقد أمرت شريعتنا الإسلامية بشكر الناس على إحسانهم وفضائلهم علينا، ومن أخص من أُمِرنا بشكره الوالدان، قال تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤].

قال العلماء: (أحق الناس بعد الخالق المنان بالشكر والإحسان والتزام البر والطاعة له والإذعان: من قرن الله الإحسان إليه بعبادته وطاعته وشكره بشكره، وهما الوالدان)[(١)].

كما أمر النبي ﷺ بشكر كل من أسدى إليك معروفاً، ففي حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً: «**مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ بِهِ، فَمَنْ أَثْنَى بِهِ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ**»[(٢)].

---

(١) تفسير القرطبي (٥/ ١٧١).

(٢) رواه أبو داود (٤٨١٣)، وحسنه الألباني.

فإن لم تجد ما تجزي به فأثنِ على صاحب المعروف؛ كقولك له: جزاك الله خيراً؛ لأن الدعاء وسيلة للشكر، وقد قيل: من قصرت يداه عن المكافآت فليطل لسانه بالشكر.

ومن شكر الناس عدمُ إظهار معايب العطاء، قال المناوي: (ومن تمام الشكر أن يستر عيوب العطاء، ولا يحتقره)[١].

وقد قُرِنَ شكر الله بشكر الناس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لاَ يَشْكُرُ الله مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ**»[٢].

ومعنى الحديث: لا يقبل الله شكر العبد له إذا كان لا يشكر الناس على معروفهم.

أو معناه: من كان من طبعه وعادته كفر الناس؛ فسيكون من طبعه كفر خالق الناس.

وهناك فرق بين شكر العبد وشكر الرب: فشكر الرب فيه خضوع وذل وعبودية، أما شكر العبد فهو مجازاته على إحسانه

---

(١) فيض القدير (٦/ ٢٢).
(٢) رواه أبو داود (٤٨١١)، والترمذي (١٩٥٤) وقال حسن صحيح.

والدعاء له، ولا يجوز صرف شيء من الخضوع والذل والعبودية له.

قال بعضهم: (الشكر لمن فوقك -أي الله- بالطاعة، ولنظيرك بالمكافآت، ولمن دونك بالإحسان)[١].

وأيضاً فإن الله سبحانه هو المستحق للشكر المطلق العام التام، فشكر العبد إنما يكون جزاءً على ما يسره الله على يديه من الخير، فيشكر الوالدين على تربيتهما، والمعلم على تعليمه، وهكذا[٢].

فليس شكر المخلوق قادحاً في شكر الخالق، بل المشكلة فيمن يشكر المخلوق ولا يشكر الخالق، وهذه هي المصيبة.

طلب الشكر من الناس:

إن المسلم إذا نفع أخاه لا ينبغي له أن ينتظر الشكر منه؛ بل عليه أن ينتظر الأجر والثواب من الله، وعدم شكر أخيه له

(١) روح المعاني (١/ ٢٥٨).
(٢) مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٣٩).

لا يعني عدم حصول قصده؛ إلا إذا كان قصده هو شكر الناس له فهو صاحب رياء وسمعة، نسأل الله السلامة والعافية.

بل إن العلماء ذكروا أن صاحب المعروف إن كان يُعرَف منه أنه يريد الثناء فلا ينبغي لمن أخذ منه المعروف أن يثني عليه ويشكره؛ لأن طلب الشكر ظُلْمٌ، وقد نهينا عن الإعانة على الظلم[1].

(١) الأذكار للنووي (٦١٥).

كفر النعمة

الكفر ضد الشكر، وقد حذرنا الله سبحانه من كفر نعمه التي أنعم بها علينا، والسلف رضوان الله عليهم كانوا يخشون كثيراً من كفر النعمة.

فعمر بن عبد العزيز كان إذا قلّب بصره في نعمة أنعمها الله عليه قال: (اللهم إني أعوذ بك أن أبدّل نعمتك كفراً، أو أكفرها بعد معرفتها، أو أنساها فلا أثني بها)[١].

وقد يحصل من بعض الناس كفراً للنعم في بعض الأحوال، ومن تلك الأحوال:

الكفر عند المصائب:

قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴾ [هود: ٩]. قال ابن جرير:

(١) شعب الإيمان (٤٥٤٥).

(كفور لمن أنعم عليه، قليل الشكر لربه المتفضل عليه بما كان وهب له من نعمته)[1].

وإذا علم الإنسان أنه ما من مصيبة أصابته إلا بسبب ذنبه فإنه يحمد الله على هذا، ويلوم نفسه على التقصير. قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [الحديد:٢٣].

وقد ذم الله الكنودَ وهو الذي يكفر بالنعمة عند المصيبة، قال الحسن في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ [العاديات: ٦]، قال: (أي: يعد المصائب وينسى النعم)[2].

وإذا نظرت إلى أحد التجار اليوم تجده قد كان دخله مائة ألف، فأصبح خمسين ألفاً، وتسأله فيقول: ليس هناك بيع ولا

(١) تفسير الطبري (٧/ ٩).
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٧٠٠).

خير، وإنما نعيش في خسارة! والواجب عليه أن يحمد الله على كل حال.

وهذا الأمر في النساء أظهر، فلو أحسنتَ إلى إحداهن الدهر وطيلة العمر ثم رأت منك تقصيراً؛ قالت: ما رأيت منك خيراً قط!، وهذا ظلم، والنساء أكثر أهل النار لأنهن يكفرن العشير، فإذا كان ترك شكر نعمة الزوج يؤدي إلى جهنم فما حال من يكفر نعمة الله؟!.

الصبر والشكر

قال ابن القيم: (الإيمان نصفان: نصف شكر، ونصف صبر)[١].

وقد تنازع أهل العلم بين الفقير الصابر والغني الشاكر، أيهما أفضل؟.

فالشكر مع المعافاة - عند بعض أهل العلم- أعظم من الصبر على الابتلاء.

قال مطرف بن عبد الله: (لأن أعافى فأشكر أحبُّ إليّ من أن أُبتلى فأصبر)[٢].

يعني: لو رزقت الشكر على النعم خيرٌ من أن أبتلى فأصبر، والنبي ﷺ أوصى بأن نسأل الله العفو والعافية[٣]، ولم يوص بسؤال المصيبة والصبر.

---

(١) زاد المعاد (٤/ ٣٠٤).

(٢) مصنف عبد الرزاق (٢٠٤٦٨)، وشعب الإيمان (٤٤٣٥).

(٣) سنن الترمذي (٣٥٩٤) وحسنه.

وبعض العلماء ذكر أن الصبر مع الابتلاء خير من الشكر مع المعافاة.

والظاهر أن كلا من الشكر والصبر في حق صاحبه أفضل، فالشكر في حق الغني أفضل، والصبر في حق الفقير أفضل.

سئل أبو سهل الصعلوكي عن الشكر والصبر أيهما أفضل؟ فقال: (هما في محل الاستواء، فالشكر وظيفة السراء، والصبر وظيفة الضراء)[١].

الشكر على المصيبة:

والأرفع من الصبر على المصيبة؛ شكرُ الله عليها.

أُزِيحَتْ لِنَفْسِي عِلَّتَاهَا فَأَعْرَضَتْ
عَنِ البَثِّ وَالشَّكْوَى إِلَى الشُّكرِ وَالْحَمْدِ[٢]

والمصيبة لا تخلو من نعمة يجب الشكر عليها.

---

(١) الدر المنثور (١/ ٣٧١).
(٢) قرى الضيف (٢/ ٣٥٠).

قال إمام الحرمين الجويني: (شدائد الدنيا مما يلزم العبد الشكر عليها؛ لأنها نعم بالحقيقة، بدليل أنها تعرض العبد لمنافع عظيمة ومثوبات جزيلة وأغراض كريمة تتلاشى في جنبها شدائد)[١].

وقال شُريح : (وما أصيب عبد بمصيبة إلا كان لله عليه فيها ثلاث نعم: أن لا تكون في دينه، وأن لا تكون أعظم مما كانت، وأنها لابد كائنة فقد كانت)[٢].

فالعبد إذا علم هذا شكر الله على أن المصيبة لم تكن في دينه، ولم تكن أعظم مما هي عليه، ويحمد الله ويشكره أنها قد وقعت وانقضت.

ومما يُعين على الشكر على المصيبة؛ معرفةُ المحاسن المترتبة عليها: كالثواب الحاصل لمن أصابته تلك المصيبة، قال الغزالي: (ومن لا يؤمن بأن ثواب المصيبة أكبر من المصيبة لم يتصور منه الشكر على المصيبة)[٣].

(١) فيض القدير (٢/ ١٣٣).
(٢) تاريخ دمشق (٢٣/ ٤٢).
(٣) إحياء علوم الدين (٤/ ١٣١).

الخاتمة

لقد مَنَّ الله علينا بأنواع النعم الظاهرة والباطنة، فلا تجعلوا له شريكاً في عبادته، وأفردوه بالشكر والعبادة.

وقد وصف الله سبحانه الشاكرين من عباده بأنهم قليل، فقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:٢٤٣].

وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يقول: اللهم اجعلني من الأقلين. فقال: ما هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، يقول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود:٤٠]، وقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣]، وقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص:٢٤]. قال عمر: صدقت[١].

(١) الزهد للإمام أحمد (١١٤).

وسبب هذا أن إبليس قد أخذ على عاتقه أن يضل البشر ويمنعهم من الشكر، قال تعالى مخبراً عنه: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٧].

فعرف إبليس أهمية منْزلة الشكر فأراد صد العباد عنها، قال بعضهم: (لو علم الشيطان أن طريقاً توصل إلى الله أفضل من الشكر لوقف فيها)[١].

لذلك كان الشكر من الأمور الصعبة، يقول الألوسي: (وذُكِرَ أن توفية الشكر لله سبحانه وتعالى صعبة، ولذلك لم يثن سبحانه بالشكر على أحد من أوليائه إلا على اثنين: نوح، وإبراهيم عليهما السلام)[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ [البلد:٤] يقول الحسن: (يكابد الشكر على السراء، ويكابد الصبر على الضراء)[٣]، فالشكر يحتاج إلى مكابدة ومجاهدة.

(١) فيض القدير (١/ ٥٢٦).
(٢) روح المعاني (١٣/ ١٨٩).
(٣) تفسير القرطبي (٢٠/ ٥٦).

فاللهم وفقنا لإصابة صواب القول، والاعتصام بكتابك وسنة نبيك، وأوزعنا الشكر على ما أنعمت به علينا، وارزقنا القيام بشكرك على الوجه الذي يرضيك عنا، واحفظنا من وساوس إبليس، إنك سميع الدعاء قريب الإجابة.

وصلى الله على محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً.



اختبر فهمك

فيما يلي مستويان من الأسئلة حول الموضوع، أسئلة حلولها مباشرة، وهي أسئلة المستوى الأول.

وأسئلة تحتاج إلى بحث وتأمل وهي أسئلة المستوى الثاني.

أسئلة المستوى الأول (المباشرة):

١- ما الفرق بين الحمد والشكر؟

٢- للشكر ثلاثة معان، اذكرها؟

٣- ما هو ضابط التحدث بنعمة الله تعالى؟

٤- متى يجب كتم النعمة؟

٥- تنوعت الدلائل الدالة عل وجوب الشكر،اذكر دليلا واحدا لكل نوع منها؟

٦- لتحقيق الشكر وسائل وطرق، فما هي أبرزها؟

٧- الشكر عبادة، ولكل عبادة ثمرات، فما هي ثمرات الشكر؟

٨- ما الفرق بين شكر الرب وشكر العبد؟

٩- أيهما أفضل الفقير الصابر أم الغني الشاكر؟

١٠- تحدث الإمام ابن القيم عن الشكر والصبر بإسهاب في أحد مؤلفاته فما هو اسمه؟

أسئلة المستوى الثاني (الاستنباطية):

١- قال ابن القيم: الإيمان نصفان: (نصف شكر، ونصف صبر)، وضح ذلك؟

٢- تتجلى في الصلاة أنواع الشكر الثلاثة، بيِّن ذلك؟

٣- قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ١١] ما التحديث المأمور به في هذه الآية؟

٤- متى يستحق العبد وصف "شاكرا لأنعمه"؟

٥- هل شكر العبد لله من باب مقابلة النعمة؟

٦- "لا يشكر الله من لا يشكر الناس" اشرح هذا الحديث؟

٧- ذكر العلماء حالة واحدة يحرم فيها شكر الناس للناس، فما هي؟

٨- لكفران النعم صور متعددة،ما هي أعظمها؟

٩- كيف نشكر الله على المصائب؟

١٠- "أفلا أكون عبدا شكورا" ما مناسبة هذا الحديث؟

١١- اذكر كتابين تحدثا عن الشكر؟

المحتويات